

جبل عامل -أرض الشهداء والعلماء

آب ٢٠١٥ - دلال عباس

مقدّسٌ هذا الجبل، جبل عاملة، كل يوم تراه في شأن، محدّقاً بنازريه جنوبياً جنوبياً إلى أنْ يحين اليوم الموعود. نبأُه أدباءً ومقاومون، وبذورُ أرضه شهداءً وعلماءً منزّرون في جنابته.

عجبُ أمره، في يومٍ من الأيام غائرٍ في التاريخ انهار سدُّ مأرب، وتفرّقت القبائل اليمانيةُ أيدي سبأ، وكانت وجهةُ بعضها بلاد الشام، ومن هذا البعض قبيلةُ اسمها عاملة استوطنت هذه البقعة التي سُمّيت باسمها، وساكنت الكنعانيّين أقاربها الأبعدين، وفيه بعدَ حينٍ من الدهر استحالَ الماءُ بيدِ المسيح عليه السلام خمراً، وأعقبَ هذا الحدث سبعةُ قرون إلّا قليلاً، فرئي فيه متوجّلاً رجُلُ قادمٌ من قلبِ الحجاز، اسمُه أبو ذرٌ، نُفي من عاصمةِ الخلافة بتهمة التحريض على الثورة، لآنَه أشار بإصبعه إلى مكان من الانحراف في الدولة الإسلامية الفتية بآيدي العرب الذين لم يغادروا عصبيّتهم القبلية والعائلية وبداؤتهم إلّا قليلاً، ولم يفهموا من الدين إلّا الطقوس المفتقدة المعنى. وبعد صفينٍ وخدعة التحكيم وتالبِ الطلقاء والمنافقين وأهل الظاهر الجفا على أمير المؤمنين، لجأ بنو همدان وأخرون من أنصارِ عليٍّ إلى جبل عاملة يائساً من صلاح أمرِ الأمة. وظلَّ هذا الجبل مثابةً وملجأً لأنصارِ عليٍّ وأهل بيته كلما دهمتهم داهيةً من الدواهي التي كانت تعصف بالآمة في ظلِّ الأباطرة من الحكام المسلمين، وإن تلقّبوا بغير ذلك من الألقاب.

وفي جبل عامل المضّيخ بتعاليم المسيح وتلامذته عَبَّقتْ وصايا عليٍّ (ع) وتعاليمه، حملتها إليه عقولُ مريديه، وأهل بيته جيلاً بعد جيل...

في يومٍ من الأيام، في أوائل الربع الأول من القرن العشرين الميلادي، ولدَ لعائلةٍ من آلِ عليٍّ الحالينَ أرضَ عاملة، يتوارثون كتابةً ومشافهةً حبَّ أهل بيته النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّمَ، ومناهجَهم، صبَّيْ سماه أبوه عليًّا، تيّمناً بجده عليًّا أعلم المسلمين قاطبةً بعدَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّمَ، وأقضاهم وأزهدهم، وأبعدهم حكمةً وبصيرةً، ورؤيا تخرقُ الحُجبَ والأسوار...